بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة القاهرة

كلية دار العلوم

قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

مواضع إيثار الذِّكر على الحذف في القرآن الكريم

دراسة بلاغية

(رسالة لنيل درجة الماجستير)

مقدمة من

جمال عبد العزيز محمد الفزَّاني

إشراف

الأستاذ الدكتور

حسن جاد طبل

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي

والأدب المقارن – كلية دار العلوم

جامعة القاهرة

الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن فودة

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي

والأدب المقارن – كلية دار العلوم

جامعة القاهرة

١٤٣٧هـ – ٢٠١٥م

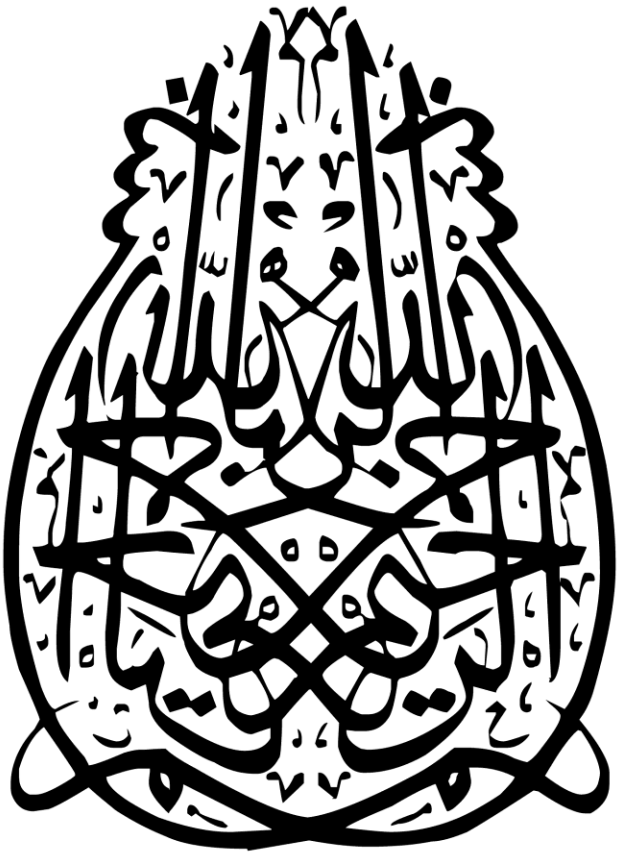

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

شكر وتقدير

أحمدُ الله تعالى أن يسَّر لي الاهتداء إلى أستاذين مفضالين، وعالمين جليلين، قدَّما لي كل عون في سبيل إنجاز هذا البحث:

الأستاذ الدكتور/ **حسن جاد طبل**، أستاذ البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، صاحب الفضل الأكبر الذي أعانني على إنجاز هذه الدراسة، فقد فتح لي قلبه قبل مكتبه، فألفيته أستاذًا مفضالًا، وعالمًا جليلًا، يقبل عليه طالبو العلم بما عهدوه فيه من طيب خلقه، وسماحة خاطره؛ لينهلوا من علمه الغزير وخبراته الطويلة في مجال البحث في بلاغة القرآن، فيقدم لهم الود صافيًا، والنصح خالصًا. فهو بحق:

عَـــالِمٌ فَاضِـــلٌ إِمَـــامٌ هُمَـــامٌ بَحْـــرُ عِلْـــمٍ جَـــادَتْ لَـــهُ الْأَخْـــلَاقُ

والأستاذ الدكتور/ **عبد الرحمن فودة**، أستاذ البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، الذي نهلت من سحائب خلقه قبل أن أغترف من بحر علمه، فعرفته عالمًا جليلًا، ومربيًا مفضالًا، يسارع في الخيرات، ويتسابق إلى المعروف، فهو الأستاذ علمًا، والأبُ نصحًا، والأخُ عونًا.

فاللهَ أسأل أن يجزيهما المثوبة في الدارين، وأن يديم عليهما نعمتي الصحة والعافية، وأن يفيض عليهما من واسع علمه وفضله... إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كما أتوجه بخالص الشكر وعظيم التقدير والامتنان إلى الأستاذين الفاضلين، والعلَمين الجليلين:

الأستاذ الدكتور/ **سعد أبو الرضا**، أستاذ البلاغة والنقد الأدبي بكلية الآداب، جامعة بنها.

والأستاذ الدكتور/ **عبد الحميد هنداوي**، أستاذ البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

على تفضُّلهما بقبول مناقشة هذه الدراسة، وإسداء النصح لي بكل ما هو مفيد في استكمال ما فاتني من ضعف وقصور.

فالله أسأل أن يجزيهما عني وعن طلبة العلم خير الجزاء، وأن ينفع بعلومهما، وأن يزيدهما علمًا، وأن يجعل جهودهما في موازين حسناتهما. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلَّمه البيان، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد –صلى الله عليه وسلم– الذي أرسله ربُّه رحمة للأنام، وأيَّده بمعجزة خالدة في الزَّمان، فقال عز من قائل: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: ٨٨].

وبعد..

فكم نادى القرآنُ بأرباب الفصاحة واللَّسَن: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ} [يونس: ٣٨]، {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} [البقرة: ٢٣]، فأعلنوا بلسان الحال قبل المقال أنهم غيرُ مستطيعين. وإذا عجز من كانت الفصاحة من سجاياهم عن معارضة القرآن أو الإتيان بمثله، فلا شكَّ أنَّ من هو دونهم عمَّا عجزوا عنه أعجز.

وقد تعدَّدت الدراسات والمؤلفات التي دارت حول إعجاز القرآن الكريم وتنوَّعت، وما يزال إعجاز القرآن متجددًا وعطاؤه مستمرًّا، ينهل الناس من معينه الفيَّاض ومنهله الرويِّ في كل عصر، يعلن أنه بلغ أقصى غايات الفصاحة، وأعلى مراتب البلاغة، وانتهى إلى حدِّ الإعجاز الخارج عن مقدور الخلق.

وإنَّ التالي للقرآن الكريم والمتدبِّر لمعانيه ليمرُّ بآياتٍ قريبة المعنى، ظاهرة الدلالة، فيتساءل عن الحكمة من وراء ذكرها وقد كان يمكن إدراك معناها لدى حذفها، وهو على يقين من أنَّ تلك الظاهرة وراءها أسرار بلاغية –يعلمُها أو لا يعلمُها– وإلَّا كان حشوًا يتنزَّه عنه كلامُ البلغاء، فضلًا عن كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه.

وقد أطلق البلاغيون على تلك الظاهرة مصطلح (أسلوب الذِّكر)، وعرَّفوه بأنه «ذِكر ما تقوم عليه قرينة؛ أي: ما يجوز حذفه لدلالة السياق عليه»[(١)].

---

(١) علم المعاني في الموروث البلاغي: تأصيل وتقييم، د. حسن طبل، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط٢، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م: ١٢٠.

وإذا كان الأصل في الكلام هو حذف ما تدل عليه قرينة[٢]؛ فإنَّ أسلوب الذكر –بالمفهوم السابق– يعدُّ خروجًا عن أصل الوضع اللغوي؛ إذ كان يمكن الاستغناء عن المذكور اكتفاءً بما تضمَّن معناه في السياق.

وفي ضوء ما سبق يتبيَّن أن المتكلم –إزاء أسلوب الذكر– يصير أمام احتمالين جائزين في اللِّسان العربي؛ هما: حذف ما تدل عليه قرينة (الأصل) أو ذكره، وحينما يعدل عن الحذف ويؤثر الذكر؛ فينبغي أن يكون لديه من الدواعي ما يرجِّحه؛ إذ لا وجه للعدول عن الأصل إلا لمرجِّح.

ولقد كان بالفعل لكثير من المفسرين والبلاغيين –قديما وحديثًا– وقفاتٌ عند مواضع إيثار الذكر على الحذف في لغة القرآن الكريم، حاولوا أن يفتِّشوا خلالها عن وجوه بلاغتها، فكشفوا عن وجوه هي أرفع وجوه الفصاحة، وأعلى مراتب البلاغة، وأقصى طبقات الإعجاز. وهذا ما تأمل هذه الدراسة أن تُسهم في عرضه، وبيانه، وإتمام بنائه –بإذن الله تعالى.

<u>بواعث الدراسة:</u>

ثمَّة بواعث دفعتني إلى النظر في هذا الموضوع، لعل أبرزها:

١– الرغبة في التعايش مع لغة القرآن التي تمثل أعلى مراتب الفصاحة والبيان.

٢– أنَّ أسلوب الذكر لم يأخذ حظَّه من الدرس البلاغي كظاهرة مستقلَّة تستحقُّ الدراسة المتخصِّصة.

٣– وجود دواعٍ بلاغية كثيرة لأسلوب الذكر لم يصرِّح بها البلاغيون يمكن أن تقاس على ما ذكروه.

٤– طعن أعداء الإسلام في لغة القرآن بدعوى مخالفة أسلوب الذكر لأساليب الفصاحة والبلاغة؛ لأنه مجردُ إيضاح للواضحات، وحشوٌ وتطويلٌ يمكن أن يُستغنى عنه في الكلام.

٥– تناوُل المفسرين وعلماء البلاغة الآيات التي تندرج تحت أسلوب الذكر آحادًا، دون مقارنة بينها، أو دراسة متخصصة لموضوعها.

٦– أنَّ بعض الأشكال والمسائل المتعلقة بأسلوب الذكر لم تأخذ من عناية المفسرين والبلاغيين ما تستحق من الدراسة.

---

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث – القاهرة، ط٣، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م: ٣/ ١٠٤. البلاغة العربية: أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد، تأليف وتأمل: عبد الرحمن حسن حَبَنَّكة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م: ١/ ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤.

أهداف الدراسة:

١- تناول أسلوب الذكر بدراسة مستقلة متخصصة تكشف عن مكانته من الدرس البلاغي.

٢- البحث عن الأشكال التركيبية والصور التعبيرية المتنوعة التي تشكَّل فيها أسلوب الذكر في لغة القرآن، وتحديد أنواعها وأقسامها، وسوق الأمثلة لكل نوع منها، ومناقشة آراء المفسرين في وجوه بلاغتها.

٣- جمع شتات مسائل أسلوب الذكر التي تفرَّقت في مباحث علوم البلاغة المختلفة، ونظمها في سلك واحد.

٤- تِبيان قوة العلاقة بين أسلوبي الذكر والحذف، من خلال دراسة التنويع بين الأسلوبين في النص القرآني.

٥- تعميم الدراسة على آيات الذكر الحكيم، واستنباط ما يمكن استنباطه من صور أسلوب الذكر وأشكاله، وتحليلها تحليلًا بلاغيًّا بحسَب ما يقتضيه كل سياق، ويستدعيه كل مقام.

٦- الرد على دعوى أعداء الإسلام بمخالفة أسلوب الذكر للفصاحة، ببيان أن هذا الأسلوب في لغة القرآن يستدعيه السياق، ويقتضيه المقام، ويطابق الغرض الخاص المقصود.

٧- تطوير مبحث أسلوب الذكر، وإثراء موضوعه وإغناؤه؛ حتى يتسنى له الوقوف على مسافة متوازنة أمام أسلوب الحذف الذي استأثر بعناية البلاغيين.

مصاعب الدراسة:

لعلَّ أبرز صعوبات الدراسة تتمثل فيما يستدعيه البحث في أساليب القرآن من التحلي بالحيطة والحذر، بالقدر الذي يتناسب مع جلال النص القرآني الذي فاقت بلاغته حد الإعجاز. ثم في جمع الأشكال التركيبية والصور التعبيرية التي يتشكل فيها أسلوب الذكر؛ لكثرتها، وتعدد أنواعها وأقسامها، وتفرُّقها في أبواب النحو، وبطون التفاسير، ومباحث علوم البلاغة المختلفة.

الدراسات السابقة:

لم يحظ أسلوب الذكر في مجال البحوث الجامعية بدراسة مستقلة متخصصة تتناول الظاهرة من مختلف زواياها، وإنما تُنولت بعض مسائله في ثنايا بحوث منفصلة حملت عناوين مختلفة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ) (**التنويع الأسلوبي في صور التكرار القرآني**)، وهي رسالة لنيل درجة الدكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مقدَّمة من عبد المنعم علي عثمان حسين.

ويركز هذا البحث في المقام الأول على دراسة التنويع الأسلوبي في مجالاته المتعددة، مرتبة حسَب المستويات اللغوية، من خلال ستة فصول أساسية: تناول الفصل الأول منها الجانب النظري تحت عنوان: (السياق والتنويع الأسلوبي)، ثم جاء الجانب التطبيقي في خمسة فصول، تناولت التنويع الأسلوبي في: (مجال الصيغ والأبنية الصرفية)، (مجال الأدوات)، (مجال بناء الجملة)، (مجال الفواصل القرآنية)، (مجال المعجم).

وقد عرضت هذه الدراسة لبعض النماذج التي تندرج تحت أسلوب الذكر من خلال الإشارة إلى التنويع بين الذكر والحذف في مجالي الأدوات وبناء الجملة.

ب) (**صور التعبير بالنعت في القرآن الكريم: دراسة بلاغية**)، وهي رسالة لنيل درجة الماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مقدمة من أحمد محمد محمد عبد الحليم.

وقد تناول هذا البحث النعت في لغة القرآن من خلال ثلاثة فصول رئيسة على النحو الآتي: الأول (تنوع النعت: الصيغة والمعجم)، والثاني (النعت وأحوال بناء الجملة)، والثالث (السياق وتعدد النعوت).

وقد أشار الباحث إلى بعض صور النعت المذكورة مع وجود القرينة في المبحث الأول من الفصل الثاني، الذي جاء تحت عنوان: (النعت بين الذكر والحذف).

جـ) (**تنوع التعبير بالحال في القرآن الكريم: دراسة بلاغية**)، وهي رسالة لنيل درجة الماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مقدمة من سعيد سنوسي عبد الجواد حجازي.

وقد تناول هذا البحث الحال في لغة القرآن من خلال تمهيد وخمسة فصول: الأول: (التنوع على مستوى الحال المفردة)، والثاني: (التنوع على مستوى الحال الجملة)، والثالث: (اختيار شبه الجملة)، والرابع: (التنوع على مستوى الحال المتعددة)، والخامس: (التنوع على المستوى المعجمي). وقد أشار الباحث –في هذه الدراسة– إلى بعض أغراض التقييد بالحال في التمهيد.

د) (**دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم**)، وهي رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر بباتنة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، إعداد/ عائشة عبيزة.

وقد حاولت هذه الدراسة أن تجمع أغلب أشكال التوكيد في اللغة في بابين كبيرين، تناول الباب الأول الجانب النظري تحت عنوان: (التوكيد بين القدماء والمحدثين) في ثلاثة فصول على النحو الآتي: الأول: (التوكيد في اللغة العربية وارتباطه بمناسبات القول ومقتضياته)، والثاني: (أسلوب التوكيد في الدراسات القديمة)، والثالث: (أسلوب التوكيد في الدراسات الحديثة). ثم جاء الباب الثاني تحت عنوان: (أسلوب التوكيد وأشكاله ودلالاته)، وكانت فصوله الثلاثة مرتبة كالآتي: الأول: (مبدأ الفائدة في أسلوب التوكيد)، والثاني: (من أنماط التوكيد في القرآن الكريم)، والثالث: (بعض معاني التوكيد في القرآن الكريم من خلال أشكال توكيدية أخرى).

وقد تناول الفصل الأخير من الباب الثاني –على وجه التحديد– بعض معاني: النعت المؤكد، المفعول المطلق المؤكد، الظرف المؤكد، حرف الإضافة ومدخوله المؤكد، التمييز المؤكد، البدل المؤكد، العطف المؤكد، الاشتقاق التوكيدي.

وبهذا تبدو نقاط التماس واضحة بين الفصل الأخير من هذه الدراسة والفصل الثاني من الدراسة التي بين أيدينا؛ ولكن الدراسة المشار إليها ركَّزت –في المقام الأول– على عرض بعض النماذج المعدودة في كل شكل من هذه الأشكال التوكيدية، وحاولت أن تستنبط دلالتها على التوكيد من وجهة النظر اللغوية، مع الإشارة إلى بعض النكات البلاغية.

وكما هو واضح من عناوين البحوث السابقة أنها ركزت على معالجة ظواهر بلاغية مختلفة، اقتضت حدود دراستها الإشارة إلى بعض الصور التي تندرج تحت أسلوب الذكر التي لها صلة بموضوع الدراسة، ولم تخص رسالة منها أسلوب الذكر بدراسة متخصصة متكاملة. وهذا ما تكلفت به هذه الدراسة، وحاولت أن تقوم به؛ لتكون إسهامًا تتكامل به الجهود في إبراز بلاغة أسلوب الذكر من مختلف الزوايا.

كما اعتمدت الدراسة بشكل أساسي على التفاسير المتعددة، وبخاصة عند من اهتم بالتفسير البلاغي؛ كالزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، والرازي (ت ٦٠٦هـ)، والبقاعي (ت ٨٨٥هـ)، والألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، وغيرهم. وكذلك عند من أفرد متشابه النظم القرآني بالتصنيف والتوجيه؛ كالخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ) صاحب (درة التنزيل)، والكرماني (ت نحو ٥٠٥هـ) صاحب (البرهان في توجيه متشابه القرآن)، وابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) صاحب (ملاك التأويل).

المنهج المتبع في الدراسة:

اعتمد البحث في دراسة الظاهرة بشكل أساسي على (المنهج التحليلي الوصفي) الذي يقوم على تحليل الظاهرة المدروسة وتوصيفها، ويحاول أن يكشف عن الأسرار البلاغية الكامنة وراءها.

ولم تحرم الدراسة نفسها من الاستفادة من بعض إجراءات المناهج الأخرى؛ فقامت بعمل إحصائي لعدد من الألفاظ والآيات القرآنية التي اقتضت دراسة الظاهرة إحصاءها في بعض المواضع، كما حاولت أن تميط اللثام عن أوجه الجمال التي تشتمل عليها الظاهرة في لغة القرآن، وأن تقارن بين ما يقتضيه مقام الذكر ومقام الحذف في كل موضع، وتبرز مدى تجاوب النفس وتفاعلها مع كلٍّ في سياقه ومقامه.

حدود الدراسة:

في ضوء ما ذكرنا كانت خطة البحث الموسوم بـ(مواضع إيثار الذكر على الحذف في القرآن الكريم: دراسة بلاغية) متمثلة في مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول على النحو الآتي:

المقدمة: استهللت فيها البحث ببيان البواعث التي تقف وراء اختيار الموضوع، والأهداف التي تتبناها الدراسة، والمصاعب التي واجهتها، وأهم الدراسات السابقة التي لها صلة بالظاهرة المدروسة، وأخيرًا المنهج المتبع في الدراسة.

التمهيد (الظاهرة في الموروث البلاغي والنقدي): بدأت فيه بتعريف مفردات البحث، وتحديد موضوع الدراسة، وأتبعت ذلك بتقسيم الشواهد التي تندرج تحت الظاهرة المدروسة، ثم وقفت وقفة متأنية مع صلة أسلوب الذكر بعلوم البلاغة، وأهم الدواعي البلاغية التي تقف وراء هذا الأسلوب.

أما الفصل الأول (في الحروف والأدوات) فقد قمت فيه بعرض الوجوه البلاغية المختلفة لبعض الأحرف الزائدة، من خلال تقسيمها حسَب دلالتها البلاغية.

أما الفصل الثاني (في قيود الجملة) فعرضت فيه أبرز الصور التي تتشكل فيها مكملات الجملة القرآنية، في محاولة للكشف عن جمالية تلك المكملات وبلاغتها، وإبراز دورها في سياقها. وقد توزعت هذه القيود على ستة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: التقييد بالتوابع (التوكيد – النعت – البدل، وعطف بيان – العطف بحرف).

المبحث الثاني: التقييد بالمفاعيل: (المفعول به – المفعول المطلق – المفعول فيه).

المبحث الثالث: التقييد بضمير الفصل.

المبحث الرابع: التقييد بالحال.

المبحث الخامس: التقييد بالشرط.

المبحث السادس: التقييد بحرف الإضافة ومدخوله.

أما الفصل الثالث (في صور التَّكرار القرآني) فقد اشتمل على مبحثين اثنين، هما:

المبحث الأول: التكرار في اللفظ والمعنى.

المبحث الثاني: التكرار في المعنى دون اللفظ.

وأخيرا يأتي الفصل الرابع تحت عنوان **(التنويع بين ظاهرتي الذِّكر والحذف في النص القرآني)، وقد** توقفت فيه مع بلاغة عناصر الجملة القرآنية التي ذكرت في موضع ولم تذكر في موضع آخر يبدو شبيهًا به. وقد جاء الفصل في مبحثين اثنين:

المبحث الأول: الذكر والحذف في الحروف.

المبحث الثاني: الذكر والحذف في بقية أجزاء الكلام.

وبعد، فلا أزعم أن دراستي هذه قد بلغت النهاية في فهم أسرار أسلوب الذكر في القرآن الكريم، ولكني حاولت جاهدًا أن أخطو خطوة على الطريق الصحيح لفهم موطن من مواطن وجوه الإعجاز في لغة القرآن. وهذا جُهدي، ومبلغ طاقتي، فإن أصبت فما توفيقي إلا بالله، وإن كان غير ذلك فالله أسأل أن يلهمني الرشد ويجنبني الزلل. إنه سميع مجيب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيـــد

(الظاهرة في الموروث البلاغي والنقدي)

أولًا– تعريف بمفردات البحث:

يحمل عنوان الدراسة –كما هو ظاهر– ثلاث مفردات رئيسة (إيثار – ذكر – حذف)، تعبر مجتمعة عن موضوع الظاهرة المدروسة، ولعله يحسن ابتداءً الإشارة إلى ما تضمنته كل مفردة من دلالات، وما دار حولها من معانٍ؛ للوقوف على المعنى العام الذي يحمله العنوان:

أ) إيثار

يقال: «(أَثِرَ عَلَيْهِ – أَثَرًا. وَأَثَرَةً. وَأُثْرَةً. وَأُثْرَى: فَضَّلَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ فِي النَّصِيبِ؛ فَهُوَ أَثِرٌ. وَأَنْ يَفْعَلَ كَذَا: فَضَّلَ»(١). و«(آثَرَهُ) إِيثَارًا: اخْتَارَهُ وَفَضَّلَهُ»(٢). «وآثَرَه عَلَيْهِ: فَضَّلَهُ؛ وَفِي التَّنْزِيلِ {لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا} [يوسف: ٩١]. وأَثِرَ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا أَثَرًا، وأَثَرَ، وآثَرَ؛ كُلُّهُ فَضَّلَ وَقَدَّمَ. وآثَرْتُ فُلَانًا عَلَى نَفْسِي مِنَ الْإِيثَارِ. الأَصمعي، آثَرْتُكَ إِيثارًا؛ أَي: فَضَّلْتُكَ»(٣).

وكما هو واضح أن معاني المادة تدور حول: الاختيار، والتفضيل، والتقديم. ولا يخفى أن هذه المعاني تتوافق مع موضوع الدراسة الذي يُفاضل بين احتمالين جائزين في الكلام، هما: الذكر، والحذف، ويُفتِّش عن الأسرار البلاغية التي تقف وراء ترجيح أحدهما على الآخر.

ب) ذكر:

يُقال: «ذَكَرَ الشَّيْءَ ذِكْرًا وَذُكْرًا وَذِكْرَى وَتَذْكَارًا: حَفِظَهُ، واسْتَحْضَرَهُ، وَجَرَى عَلَى لِسَانِه بَعْدَ نِسْيَانِه... وَالشَّيْءَ لَهُ: أَعْلَمَهُ بِهِ. وَحَقَّهُ: حَفِظَهُ، وَلَمْ يُضَيِّعْهُ»(٤). «والذِّكْرُ والذِّكْرَى والذُّكْرَةُ ضِدُّ النِّسْيانِ... وتَذَكَّر الشَّيْءَ وأَذْكَرَهُ غَيْرَهُ وذَكَرهُ بِمَعْنًى... والتَّذْكِرَةُ مَا تُسْتَذْكَرُ بِهِ الْحَاجَةُ»(٥).

وهكذا تراوحت معاني المادة حول: الحفظ، والإعلان، والاستحضار. وكلها معانٍ تتجاوبُ مع معنى الذكر الذي اصطلح عليه البلاغيون، وتتوافقُ مع ما يفيده هذا الأسلوب من تثبيت المعنى، وتقريره، وإبرازه في أوضح صورة وأجلاها؛ فهو عندهم «ذِكر ما تقوم عليه قرينة؛ أي: ما يجوز حذفه لدلالة السياق عليه. أما فيما عدا ذلك فمن البديهي أن ذكره ضرورة لا بد منها حتى لا يقع الكلام في دائرة التعمية والغموض»(٦).

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية – مصر، ط٤، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، مكتبة الشروق الدولية: (مادة: أَثِرَ).

(٢) السابق: (مادة: آثر).

(٣) لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف: (مادة: أثر).

(٤) المعجم الوسيط: (مادة: ذكر).

(٥) مختار الصحاح، الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان ١٩٨٦م، ساحة رياض الصلح – بيروت: (مادة: ذكر).

(٦) علم المعاني في الموروث البلاغي: ١٢٠.

جـ) حذف:

«حَذَفَ الشَّيْءَ حَذْفًا: قَطَعَهُ مِنْ طَرَفِهِ. يُقَالُ: حَذَفَ الْحَجَّامُ الشَّعْرَ: أَسْقَطَهُ... حَذَفَ الشَّيْءَ: سَوَّاهُ... وَحَذَفَ الْخَطِيبُ الْكَلَامَ: هَذَّبَهُ وَصَفَّاهُ»[٧]. و«حَذْفُ الشَّيْءِ: إِسْقَاطُهُ؛ وَمِنْهُ: حَذَفْتُ مِنْ شَعْرِي وَمِنْ ذَنَبِ الدَّابَّةِ؛ أَيْ: أَخَذْتُ»[٨].

ولا تبعُد المعاني اللغوية للحذف (القطع، والأخذ، والإسقاط) عما اصطلح عليه البلاغيون؛ حيث عرَّفوه بأنه «إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل»[٩].

ثانيًا- تساؤلات حول أسلوب الذكر:

توهَّم الملحدون وأشباههم -لفرط جهالتهم بأساليب العربية وطرائق فصاحتها- أن أسلوب الذكر ثغرة يمكن أن ينفذوا منها للتشكيك في لغة القرآن الكريم، فادعوا -بهتانًا وزورًا- أن القرآن -حينما استخدم هذا الأسلوب- قد أوضح الواضحات، وذكر ما هو معلوم بالضرورة، ونصَّ على أشياء هي من البدهيات والمسلمات التي تدرك لأول وهلة، وكان يمكن أن يستغنى عنها في الكلام؛ فخالف بذلك -بسقيم فهمهم- أساليب الفصاحة والبلاغة.

وقد أشار الرازي (ت ٦٠٦هـ) إلى هذه الشبهة الواهية -التي أثارها هؤلاء الطاعنون- في مَعْرِض توجيهه لقوله تعالى: {تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ} [البقرة: ١٩٦] عقب قوله: {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ} [البقرة: ١٩٦] فقال: «فقد طعن الملحدون -لعنهم الله- فيه من وجهين: أحدهما: أن المعلوم بالضرورة أن الثلاثة والسبعة عشرة، فذكره يكون إيضاحًا للواضح. والثاني: أن قوله: {كَامِلَةٌ} يوهم وجود عشرة غير كاملة في كونها عشرة وذلك محال»[١٠].

وبعد أن فند الرازي هذه الشبهة، وأوفى على الغاية في بيان بطلانها من وجوه عشرة[١١]، عقَّب بقوله: «فقد ظهر بهذه الوجوه العشرة اشتمال هذه الكلمة على هذه الفوائد النفيسة، وسقط بهذا البيان طعن الملحدين في هذه الآية. والحمد لله رب العالمين»[١٢].

---

(٧) المعجم الوسيط: (مادة: حذف).

(٨) لسان العرب: (مادة: حذف).

(٩) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٠٢.

(١٠) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م: ٥/ ١٦٨.

(١١) أورد الرازي عشرة أنواع من الفوائد وراء ذكر لفظ {كاملة}، منها: نفي توهم غير المراد، وبيان كمال البدل (الصيام) وأنه ليس أضعف حالًا من المبدل منه (الهدي)، والجري على طريقة العرب في توكيد الكلام المهم، واحتياج الأمر إلى البيان القاطع؛ لأن العرب لم يكونوا أهل حساب، والدلالة على أن طاعة الصيام في غاية الكمال والعلو... (انظر: مفاتيح الغيب: ٥/ ١٦٨: ١٧١).

(١٢) انظر: مفاتيح الغيب: ٥/ ١٧٠. كما عقب أبو حيان بعد الرد على الشبهة التي أثيرت حول الآية بقوله: «وبهذه الفوائد التي=